القول المبين في تفسير الآية مبكاة العابدين

د. عبد العزيز بن صالح الخزيم

الأستاذ المشارك بقسم القرآن وعلومه، بكلية الشريعة، بجامعة القصيم

khziem@qu.edu.sa

ملخص البحث:

يهدف البحث إلى تفسير قوله تعالى:﴿ أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجۡتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجۡعَلَهُمۡ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾الآية [الجاثية: ٢١]المسماة "مبكاة العابدين"، من خلال بيان اسمها، وسبب نزولها، ومناسباتها، وقراءاتها، وإعرابها، وتفسيرها التحليلي والإجمالي، وفوائدها والتنبيهات.

من نتائج البحث: أن الوارد في سبب نزول الآية لا يصح لعدم ثبوته، ويوصي الباحث بتتبع الآيات التي وقع التأثر بها ودراستها من حيث موضوعاتها وأنواع التأثر والمتأثرين بها.

الكلمات المفتاحية: القول – المبين – تفسير – الآية – مبكاة – العابدين.

The Clear Explanation of the Verse "The Worshippers' Weeping"

Dr. Abdulaziz bin Saleh Al- khziem
Associate Professor, Department of Quran and Its Sciences, College of Sharia, Qassim University
khziem@qu.edu.sa

Summary:

Objective: This research aims to interpret the verse:

﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾

[Al-Jathiya: 21]

referred to as "The Worshippers' Weeping".

The study explores the verse through an analysis of its name, reason for revelation, context, recitations, grammatical structure, analytical and general interpretation, as well as its benefits and key observations.

Key Findings:

• The reported reason for the verse's revelation is not authentic due to lack of reliable evidence.

• The research recommends studying verses that have significant emotional and spiritual impacts, focusing on their themes, the types of impact, and those influenced by them.

Keywords: The Clear Explanation, Interpretation, Verse, Worshippers, Weeping.

د. عبد العزيز بن صالح الخزيم

المقدمـــــة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله نبينا محمد، وآله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فإن أجل وأنفس ما بذلت فيه الأوقات كتاب الله تعالى، الذي أنزله موعظة وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين، كما قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [يونس:٥٧].

فلا عجب أن يبذل أهل العلم جهدهم في النهل من معين القرآن الكريم، ومن ذلك أنهم أفردوا آيات وسورا بالتفسير والبيان، فكتبوا فيها مصنفات وعقدوا لها مجالس، ومنها ما عرف واشتهر بأسماء خاصة، كالآية مبكاة العابدين، وهي الآية الحادية والعشرون من سورة الجاثية.

فرأيت مقتفيا أثر أهل العلم أن يكون هذا البحث في تفسير هذه الآية، وجعلته بعنوان:

[القول المبين في تفسير الآية مبكاة العابدين].

أهمية البحث: تظهر أهمية البحث في كون هذه الآية من الآيات التي كان للسلف عناية خاصة بها، وذات أثر عليهم.

وذلك أنه ورد عن بعضهم تأثر خاص بهذه الآية، ولما حوت من معان جليلة في ذكر حالي الذين اجترحوا السيئات، والمؤمنين العاملين بالصالحات.

مشكلة البحث: هذا البحث هو إجابة لسؤال محدد ألا وهو: ما تفسير الآية مبكاة العابدين؟ وتحت هذا السؤال عدة أسئلة:

- ما اسم الآية؟
- ما سبب نزول الآية؟
- ما مناسبات الآية؟
- ما القراءات في الآية؟

- ما إعراب الآية؟
- ما التفسير التحليلي والإجمالي للآية؟
- ما فوائد الآية والتنبيهات؟

أهداف البحث: يهدف البحث إلى تفسير الآية مبكاة العابدين، من خلال بيان اسمها، وسبب نزولها، ومناسباتها، وقراءتها، وإعرابها، وتفسيرها التحليلي والإجمالي، وفوائدها والتنبيهات.

حدود البحث: يقتصر البحث على دراسة الآية المسماة مبكاة العابدين، وهي قول الله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الجاثية: ٢١].

الدراسات السابقة: لم أقف – بعد البحث في أوعية المعلومات وقواعدها وفهارس المكتبات – على بحث يختص بدراسة الآية مبكاة العابدين، وهو ما يعنى به هذا البحث.

منهج البحث وإجراءاته: يقوم البحث على المنهج التحليلي، والمنهج الاستنباطي في استخراج الفوائد والأحكام. وفق الإجراءات التالية:

١. اعتمدت عناصر التفسير التحليلي في دراسة الآية.
٢. اعتمدت كتب التفسير مع الاستعانة بغيرها إذا لزم الأمر.
٣. وثّقت الإعراب والقراءات من مصادرها الأصلية.
٤. استخرجت الفوائد والأحكام الظاهرة مع نقل أقوال المفسرين في ذلك.
٥. اتبعت الإجراءات العامة المعمول بها في البحث العلمي في العزو، والتخريج، والتعريف بالغريب، وغير المشهورين من الأعلام.

خطة البحث: يتكون البحث من مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة:

المقدمة: وفيها أهمية البحث، ومشكلته، وأهدافه، وحدوده، ومنهجه، وإجراءاته، وخطته.

التمهيد: وفيه: التعريف بسورة الجاثية.

المبحث الأول: بين يدي الآية، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: اسم الآية.

المطلب الثاني: سبب نزول الآية.

المطلب الثالث: مناسبات الآية.

المبحث الثاني: تفسير الآية، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: القراءات في الآية.

المطلب الثاني: إعراب الآية.

المطلب الثالث: التفسير التحليلي للآية.

المطلب الرابع: التفسير الإجمالي للآية.

المبحث الثالث: فوائد الآية، وتنبيهات، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: فوائد الآية.

المطلب الثاني: تنبيهات.

الخاتمة: وفيها أبرز النتائج والتوصيات.

أسأل الله تعالى الإعانة والسداد والتوفيق لمرضاته، والحمد لله رب العالمين.

تمهيد: التعريف بسورة الجاثية:

سورة الجاثية مكية، حُكِيَ الإجماع على ذلك ، سُمِّيَت هذه السورة بسورة الجاثية؛ وذلك لوقوع لفظ «جاثية» فيها؛ في قوله تعالى: ﴿ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ﴾ [الجاثية: ٢٨]. ولم يقع في موضع آخر من القرآن وتُسمَّى سورةَ الشَّريعة؛ لوقوع لفظ «شريعة» فيها؛ في قَولِه تعالى: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ﴾ [الجاثية: ١٨]. ولم يقع في موضع آخر مِن القُرآنِ. وتُسمَّى سورةَ الدَّهرِ؛ لِوُقوعِ: ﴿ وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ﴾ [الجاثية: ٢٤] فيها، ولم يقع لفظ «الدَّهر» في ذوات حم الأُخَر [(١)].

ومقصد السورة: إقامة الأدلة والبراهين على انفراد الله تعالى بالإلهية بدلائل ما في السماوات والأرض من آثار خلقه وقدرته، والاحتجاج على المكذبين المتبعين أهواءهم وبيان عاقبتهم يوم القيامة[(٢)].

والسورة افتتحت بالثناء على القرآن الكريم، وبدعوة الناس إلى التفكر في هذا الكون العجيب، وما اشتمل عليه من سماوات وأرض، وفي خلقهم وجميع الدواب، واختلاف الليل والنهار، وما أنزل من أمطار وصرَّف من رياح، فإن هذا التفكر من شأنه أن يهدى إلى الحق، وإلى أن لهذا الكون إلها واحدا قادرا حكيما، هو الله رب العالمين، ثم توعَّد الذين كذبوا على الله بالإصرار على الكفر والإعراض عن النظر في آيات القرآن والاستهزاء بها، والتنديد على المشركين إذ اتخذوا آلهة على حسب أهوائهم وإذ جحدوا البعث، وتهديدهم بالخسران يوم البعث، ثم انتقلت السورة إلى بيان جانب من نعم الله على خلقه بتسخير البحر وما في السماوات والأرض، وأمر المؤمنين بالإعراض عن إساءة الكفار لهم وأن كلا سيجزى بعمله، ثم بين سبحانه موقف بنى إسرائيل من نعم الله، وكيف أنهم قابلوا ذلك بالاختلاف والبغي، ونهى نبيه ﷺ عن الاستماع إليهم، وذلك تثبيت للرسول ﷺ بأن شأن شرعه مع قومه كشأن شريعة موسى لا تسلم من مخالف، وأن ذلك لا يقدح فيها ولا في الذي جاء بها، وأن لا يعبأ بالمعاندين ولا بكثرتهم

(١) يُنظر: بصائر ذوي التمييز (٤٢٦/١)، التحرير والتنوير (٣٢٣/٢٥)، وممن نقل الإجماع على مكيتها ابن عطية في تفسيره (٥٨٧/٧)، والفيروزابادي في بصائر ذوي التمييز (٤٢٦/١)، والبقاعي في مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور (٤٧٥/٢)

(٢) ينظر: بصائر ذوي التمييز (٤٢٦/١)، التحرير والتنوير (٣٢٤/٢٥)

إذ لا وزن لهم عند الله، ممتنا عليه بالقرآن الذي هو بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون، وبين كمال عدله وأنه لا يستوي عنده ﷻ الذين اجترحوا السيئات، والذين آمنوا وعملوا الصالحات، وأنه لا هادي من بعد الله لمن اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم، وختم على سمعه وقلبه، وجعل على بصره غشاوة، ثم حكى بعض أقوال المشركين الباطلة ورد عليها بما يثبت كذبها، ثم أخذت السورة في أواخرها، في بيان أهوال يوم القيامة، وفي بيان عاقبة الأخيار وعاقبة الأشرار، وختم سبحانه السورة بالثناء على ذاته بما هو أهله، فقال تعالى: ﴿ وَلَهُ ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٣٧﴾ [الجاثية: ٣٧](٣).

(٣) ينظر: التحرير والتنوير (٣٢٤/٢٥)، التفسير الوسيط لطنطاوي (١٣٩/١٣، ١٤٠)، عون الرحمن في تفسير القرآن (١٢٧/٢٠، ١٢٨)

المبحث الأول

بين يدي الآية

المطلب الأول: اسم الآية:

اختصت بعض الآيات وعرفت بأسماء ومنها قول الله تعالى في سورة الجاثية: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الجاثية: ٢١]. فإنها تسمى مَبْكاة العابدين.

وبعد البحث عن هذه التسمية لم أقف على من تُنسب إليه لكن قال ابن عطية في تفسيره:" وقال الثعلبي: كانت هذه الآية تسمى مَبْكاة العابدين "(٤).

وعند الرجوع إلى تفسير الثعلبي لم أجد هذا في تفسيره، وكذا قال القرطبي:" وكانت هذه الآية تسمى مَبْكاة العابدين لأنها محكمة "(٥).

وتسمية الآية مبكاة العابدين ذكره أيضا بعض المفسرين ومنهم الثعالبي، والآلوسي، وابن عاشور، والمراغي(٦).

وفي سبب التسمية يقول ابن عطية:" وأما لفظها فيعطي أنه اجتراح الكفر بدليل معادلته بالإيمان، ويحتمل أن تكون المعادلة بين الاجتراح وعمل الصالحات، ويكون الإيمان في الفريقين، ولهذا بكى الخائفون رضوان الله عليهم"(٧).

وقال ابن جزي:" والمراد بالذين اجترحوا السيئات الكفار لمقابلته بالذين آمنوا، ولأن الآية مكية، وقد يتناول لفظها المذنبين من المؤمنين "(٨).

---

(٤) المحرر الوجيز (٥٩٩/٧)

(٥) الجامع لأحكام القرآن (١٦٦/١٦)

(٦) ينظر: الجواهر الحسان في تفسير القرآن (٢٠٧/٥)، روح المعاني (١٤٧/١٣)، تفسير المراغي (١٥٤/٢٥)، التحرير والتنوير (٣٥٥/٢٥)

(٧) المحرر الوجيز (٥٩٩/٧)

(٨) التسهيل لعلوم التنزيل (٢٧١/٢)

وأما قول القرطبي في سبب التسمية لأنها محكمة فمقصوده – والله أعلم – انها غير منسوخة لذا عملوا بها.

وقد جاء عن السلف ما يؤيد تسمية الآية. ومنهم تميم الداري ﷺ فقد روى مسروق[٩] قال: قال لي رجل من أهل مكة: هذا مقام أخيك تميم الداري، لقد رأيته ذات ليلة، حتّى أصبح أو كَرَب[١٠] أن يصبح يقرأ آية من كتاب الله، ويركع، ويسجد، ويبكي ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ ﴾ الآية[١١].

وجاء عن الربيع بن خثيم[١٢] أنه قام ليلة يصلي فمرَّ بهذه الآية فمكث ليلَه حتّى أصبح ما يجوز هذه الآية إلى غيرها، ببكاء شديد[١٣].

ونُقل عن الفضيل بن عياض[١٤]، أنه كثيرا ما كان يردد من أول الليلة إلى آخرها هذه الآية ونظائرها، ثمّ يقول: يا فضيل ليت شعري من أي الفريقين أنت[١٥].

(٩) مسروق: هو أبو عائشة مسروق بن الأجدع بن مالك الهَمْداني الكوفي. من أصحاب ابن مسعود ﷺ، ثقة مخضرم من كبار التابعين، توفي سنة ٦٣هـ. ينظر: سير أعلم النبلاء (٦٣/٤)

(١٠) كَرَب: أي كاد. ينظر: مختار الصحاح (٢٦٧)

(١١) أخرجه ابن المبارك في الزهد (٣١/١)، والطبراني في المعجم الكبير (٥٠/٢)، قال ابن حجر في الإصابة في تمييز الصحابة (٤٨٨/١):" رواه البغوي في الجعديات بإسناد صحيح إلى مسروق ".

(١٢) الربيع بن خثيم: هو أبو يزيد الربيع بن خثيم الثوري التميمي، من عباد وزهاد أهل الكوفة، مات بها سنة ٦٣هـ. بنظر: مشاهير علماء الأمصار (١٦٠)

(١٣) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٢٢٢/٦)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٢٢٤/٢)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (١١٢/٢)

(١٤) الفضيل بن عياض: هو أبو علي الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر التميمي اليربوعي الخراساني، المجاور بحرم الله. إمام قدوة عابد ثبت كثير الحديث، مات بمكة في أول سنة ١٨٧هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء (٣٩٤/٧)

(١٥) ينظر: تفسير الثعلبي (٢٢/٢٥)، المحرر الوجيز (٥٩٩/٧)

المطلب الثاني: سبب نزول الآية:

ذكر بعض المفسرين سبب نزول الآية فقد قال مقاتل بن سليمان:" وذلك أن الله أنزل أن للمتقين عند ربهم في الآخرة جنات النعيم، فقال كفار مكة بنو عبد شمس بن عبد مناف بمكة لبني هاشم ولبني المطلب بن عبد مناف للمؤمنين منهم: إنا نعطى في الآخرة من الخير مثل ما تعطون، فقال الله تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ [الجَاثِيَة: ٢١] " (١٦).

وقال البغوي:" نزلت في نفر من مشركي مكة، قالوا للمؤمنين: لئن كان ما تقولون حقا لنفضلن عليكم في الآخرة كما فضلنا عليكم في الدنيا "(١٧).

وقال الماوردي:" قال الكلبي: الذين أُريد بهم هذه الآية عتبه وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة ﴿ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ قال الكلبي أُريد بهم علي بن أبي طالب وحمزة بن عبد المطلب وعبيدة بن الحارث حين برزوا إليهم يوم بدر فقتلوهم "(١٨).

والراجح – والله أعلم – أن الآية لا يثبت لها سبب نزول؛ لأن ما ذكر في سبب نزولها نُقل مجردا عن الإسناد وهذا كاف في رده. ثم إنه لو ثبت إلى مقاتل والكلبي فهو مردود أيضا لكونهما مجروحين.

فأما مقاتل فنسبوه للكذب(١٩)، واتهم بفساد الاعتقاد، حتى قال عنه الذهبي:" قال ابن المبارك – وأحسن – : ما أحسن تفسيره لو كان ثقة! – ثم ختم ترجمته – بقوله: أجمعوا على تركه "(٢٠).

وهذا في رواية الحديث، وإلا فهو إمام في التفسير، حتى إن الشافعي قال: من أراد التفسير فعليه بمقاتل بن

(١٦) تفسير مقاتل بن سليمان (٨٣٩/٣)، وينظر: زاد المسير (٩٩/٤)
(١٧) معالم التنزيل (٢٤٤/٧)، وينظر: تفسير الماتريدي (٢٢٥/٩)، الجامع لأحكام القرآن (١٦٩/١٦)
(١٨) النكت والعيون (٢٦٤/٥)، وينظر: تفسير السمرقندي (٢٧٩/٣)، البحر المحيط (٤١٩/٩)
(١٩) ينظر: العجاب في بيان الأسباب (٢١٧/١)، وينظر: كلام بعض أئمة الجرح والتعديل في تهذيب التهذيب (٢٨٤،٢٨٣/١٠)
(٢٠) سير أعلام النبلاء (٢٠٢،٢٠١/٧)

سليمان[٢١].

وأما محمد بن السائب الكلبي فهو كذاب باعترافه فلا يلتفت لما يرويه ولا يعتمد عليه [٢٢].

قال عبد الرحمن بن مهدي:" سمعت سفيان الثوري يقول: قال الكلبي كل شيء أحدث، عن أبي صالح فهو كذب "[٢٣].

وقال ابن حبان:" الكلبي هذا مذهبه في الدين ووضوح الكذب فيه أظهر من أن يحتاج إلى الإغراق في وصفه "[٢٤].

وردَّ الماتريدي سبب النزول المذكور فيه قول المشركين للمؤمنين لنفضلنَّ عليكم بقوله:" هذا التأويل ضعيف؛ لأن هذا لا يصلح أن يكون جوابًا للنازلة التي ذكرها أهل التأويل؛ لأن أُولَئِكَ قالوا: نحن أولى بما يكون في الآخرة من النعيم واللذات منهم كما كنا في الدنيا أولى، وكما فضلنا في الدنيا نفضل في الآخرة؛ فلا يكون قوله تعالى: ﴿ أَن نَّجْعَلَهُمْ ... سَوَآءً ﴾ جوابًا لما قالوا، وهم إنما قالوا: نحن أولى بذلك، ونحن نفضل فيها كما فضلنا في الدنيا؛ فإذا كانوا حسبوا هم أنهم يفضلون على المؤمنين في الآخرة دون المساواة كيف يخبر عنهم أنهم حسبوا التساوي، ولا خلف في خبر الله ﷻ والله أعلم. لكن الآية عندنا إنما كانت في منكري البعث وجاحديه "[٢٥].

كما أعرض عن ذكر سبب نزول الآية أكثر المفسرين.

(٢١) تهذيب الكمال (٤٣٦/٢٨)
(٢٢) ينظر: المرجع السابق (٢٥٠/٢٥)
(٢٣) الكامل في ضعفاء الرجال (٢٧٦/٧)، وينظر: ميزان الاعتدال (٥٧٧/٣)
(٢٤) المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين (٢٥٥/٢)
(٢٥) تفسير الماتريدي (٢٢٥/٩)

المطلب الثالث: مناسبات الآية:

أولا: مناسبة الآية لمقصد السورة: لما كان مقصد السورة إقامة الأدلة والبراهين على انفراد الله تعالى بالإلهية بدلائل ما في السماوات والأرض من آثار خلقه وقدرته، والاحتجاج على المكذبين المتبعين أهواءهم وبيان عاقبتهم يوم القيامة، كان من أقوى ما يحتج به عليهم نفي المساوة بين المجترحين السيئات والذين آمنوا وعملوا الصالحات في المحيا والممات.

ثانيا: مناسبة الآية لما قبلها من الآيات: للآية تعلق ظاهر بما قبلها من الآيات وقد جاء في كتب التفسير أكثر من مناسبة، فذكر الرازي أن الله تعالى لما بين أن الظالمين يتولى بعضهم بعضا في الدنيا، وفي الآخرة لا ولي لهم ينفعهم في إيصال الثواب وإزالة العقاب، وأن المتقين المهتدين الله وليهم وناصرهم وهم موالوه، بين الفرق بينهما من وجه آخر، فقال: ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ (٢٦).

وذكر البقاعي أن الله تعالى لما جعل الوحي المنزل في عظم بيانه وإزالة اللبس عن كل ملبّس دقَّ أو جَلَّ بحيث لا يلحقه شيء من خفاء بصائر للناس أي الذين هم في أدنى المراتب، يبصرهم بما يضرهم وما ينفعهم وهم أهل السفول، بين أنه هدى لأهل العلو قائد إلى كل خير، مانع من كل زيغ ورحمة أي كرامة وفوز ونعمة لأناس فيهم قوة القيام بالوصول إلى العلم الثابت وتجديد الترقي في درجاته إلى ما لا نهاية له أبداً. ولما كان التقدير بعد هذا البيان الذي لم يدع لبساً في أمر الحساب بما حدَّه من الملك الذي يوجب ما له من العظمة والحكمة أن يحاسب عبيده لثواب المحسن وعقاب المسيء: أعلم هؤلاء المخاطبون – لأنهم لا يعدون أن يكونوا من الناس أو من الذين يوقنون بهذه البصائر لما لهم من حسن الغرائز المعلية لهم عن حضيض الحيوان إلى أوج الإنسان أنا نفرق بين المسيئين الذين بعضهم أولياء بعض وبين المحسنين الذين نحن أولياؤهم(٢٧).

(٢٦) ينظر: التفسير الكبير (٢٧/٦٧٥،٦٧٦)، وينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٨/٧٢)، تفسير المراغي (٢٥/١٥٣)

(٢٧) ينظر: نظم الدرر (١٨/٩٠)

وبيَّن ابن عاشور المناسبة بيانا مفصلا حيث قال في الآية:" انتقال من وصف تكذيبهم بالآيات واستهزائهم بها، ثم من أمر المؤمنين بالصفح عنهم وإيكال جزاء صنائعهم إلى الله، ثم من التثبيت على ملازمة الشريعة الإسلامية إلى وصف صنف آخر من ضلالهم واستهزائهم بالوعد والوعيد وإحالتهم الحياة بعد الموت والجزاء على الأعمال، وتخييلهم للناس أنهم يصيرون في الآخرة على الحال التي كانوا عليها في الدنيا، عظيمهم في الدنيا عظيمهم في الآخرة، وضعيفهم في الدنيا ضعيفهم في الآخرة، وهذا الانتقال رجوع إلى بيان قوله: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [الجاثية: ١٥] "[٢٨].

وذكر البقاعي في المناسبة في الآية أنه لما كانت المماثلة مجملة في قوله تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ بينهما استئنافاً بقوله مقدماً ما هو عين المقصود من الجملة الأولى: ﴿ سَوَآءً ﴾ أي مستو استواء عظيماً ﴿ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ ﴾ أي حياتهم وموتهم وزمان ذلك ومكانه في الارتفاع والسفول واللذة والكدر وغير ذلك من الأعيان والمعاني[٢٩].

وفي مناسبة خاتمة الآية يقول البقاعي:" ولما كان هذا مما لا يرضاه أحد لمن تحت يده ولا لغيره، قال معبراً بمجمع الذم: ﴿ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ أي بلغ حكمهم هذا في نفسه ولا سيما وهم بإصرارهم عليه في تجديد له كل ساعة أقصى نهايات السوء، فهو مما يتعجب منه، لأنه لا يدري الحامل عليه، وذلك أنه نسبوا الحكيم الذي لا حكيم في الحقيقة غيره إلى ما لا يفعله أقل الناس فيمن تحت يده "[٣٠].

وكلها مناسبات حسنة وإن كان تفصيل ابن عاشور أجودها.

(٢٨) التحرير والتنوير (٣٥١/٢٥)
(٢٩) ينظر: نظم الدرر (٩١/١٨)
(٣٠) المرجع السابق (٩١/١٨)

المبحث الثاني

تفسير الآية

المطلب الأول: القراءات في الآية:

في قولِه تعالى: ﴿ سَوَآءً ﴾ قراءتان:

قرأ الكسائي وحمزة وحفص عن عاصم، وخلَف[٣١]: (سَوَاءً) بالنَّصب، على معنى: أم حسب الذين اجترحوا السَّيِّئات أن نجعل حياتهم وموتهم كحياة الذين آمنوا وعملوا الصالحات وموتهم؟! كلَّا، لا يستوي الفريقان حياةً ولا موتًا، فإنهم يعيشون كافرين ويموتون كافرين، والمؤمنون يعيشون مؤمنين ويموتون مؤمنين[٣٢].

قال أبو منصور الأزهري:" من قرأ (سَوَاءً) بالنصب جعله في موضع مستويًا محياهم ومماتهم – المعنى: أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء، أي مُسْتويًا "[٣٣]. وعلى هذه القراءة يُجعل قوله ﴿ أَن نَّجْعَلَهُمْ ﴾ متعديًا إلى مفعولين[٣٤].

وقرأ بقية القراء بالرفع: (سَوَاءٌ). قيل: هي جملة استئنافية معناها: أنَّ محيا المؤمن ومماته سواءٌ؛ فيحيا مؤمنًا، ويموت كذلك على الإيمان، ويُبعث عليه، ومحيا الكافر ومماته سواءٌ؛ فيحيا كافرًا، ويموت كذلك على الكفر، ويُبعث عليه[٣٥].

وقيل: هي داخِلةٌ في حيّز الجملة الاستِفهامية السابقة، ومعناها يَرجِعُ للقِراءةِ الأُولى. أي: أم ظنَّ الذين عملوا السيئات في الدنيا واكتسبوها أن نساويهم في حياتهم وموتهم بالذين آمنوا وعملوا

(٣١) ينظر: النشر في القراءات العشر (٣٧٢/٢)
(٣٢) ينظر: الوسيط في تفسير القرآن المجيد (٩٨/٤)
(٣٣) معاني القراءات (٣٧٦/٢)، وينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤٣٣/٤)
(٣٤) ينظر: الحجة للقراء السبعة (١٧٦/٦، ١٧٧)
(٣٥) ينظر: حجة القراءات (٦٦١)

الأعمال الصالحة؟! كلا؛ فليس المؤمنون سواء مع الكفار، لا في المحيا ولا في الممات بل هم مفترقون(٣٦).

المطلب الثاني: إعراب الآية:

﴿ أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجۡتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجۡعَلَهُمۡ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءٗ مَّحۡيَاهُمۡ وَمَمَاتُهُمۡۚ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ٢١﴾

﴿ أَمۡ ﴾ منقطعة بمعنى: (بل) وهمزة الاستفهام الإنكاريّ، أي: بل أَحسبَ، أو تُقدّر بـ(بل) وحدها، أي: بل حسبَ، أو تُقدّر بالهمزة وحدها، أي: أحسبَ الذين.

﴿ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجۡتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ حسب فعل ماض، و ﴿ ٱلَّذِينَ ﴾ فاعله، وجملة ﴿ ٱجۡتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ صلة.

و ﴿ نَّجۡعَلَهُمۡ ﴾ فعل مضارع وفاعله مستتر تقديره نحن و(هم) مفعوله الأول.

﴿ كَٱلَّذِينَ ﴾ جار ومجرور متعلق بمحذوف في محل نصب مفعول به ثان لـ (نَجعَل)، أي: أحسبوا أن نجعلهم كائنين كالذين آمنوا.

و﴿ أَن نَّجۡعَلَهُمۡ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ في تأويل مصدر سدّ مسدّ مفعولي ﴿حَسِبَ﴾.

قولُه: ﴿ سَوَآءٗ مَّحۡيَاهُمۡ وَمَمَاتُهُمۡۚ ﴾ على قراءة النصب (سَوَاءً) فيه أوجه:

الأول: أنه حال من الضمير المستتر في متعلَّق الجار والمجرور ﴿ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾، أو مِن الضَّميرِ المنصوب في ﴿ نَّجۡعَلَهُمۡ ﴾ والتقدير: أحسبوا أن نجعلهم مثلَهم في حالِ استواء محياهم ومماتهم؟ ليس الأمرُ كذلك. ويكونُ المفعولُ الثَّاني للجَعْلِ ﴿ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾.

الثَّاني :أن يكون (سَوَاءً) هو المفعول الثاني للجعل، و ﴿ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ في محل نصب على الحالِ، أي: أن نجعلهم حال كونهم مثلهم سواء.

(٣٦) ينظر: الدر المصون (٩/٦٥٠)، التفسير المحرر (٣٣/٩٦)

الثالث: أن يكون (سَوَاءً) مفعولا بعد مفعول الجعل، فيكون (كَٱلَّذِينَ)، و (سَوَاءً) كلاهما المفعول الثاني للجعل وفي درجة واحدة باعتبار المفعول الثاني. فيكون التقدير: أحسب المجترحون أن نجعلهم مماثلين مستوين في الحياة والممات؟! أي: هذا ليس بكائن.

الرابع: أن يكون (سَوَاءً) بدلا من الكاف في ﴿ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ بناء على أنها اسم بمعنى مثْل.

و ﴿ مَّحْيَاهُمْ ﴾ فاعِلٌ بـ (سَوَاءً) لأنه مصدر وصف به، فهو في قوة اسمِ الفاعل المشتق مُسْتَوٍ. و ﴿ وَمَمَاتُهُمْۚ ﴾ معطوفٌ على مَحْيَاهُمْ مَرفوعٌ مِثلُه.

وعلى قراءة الرفع فعلى أنَّ (سَوَاءٌ) خبر مقدم. ﴿ مَّحْيَاهُمْ ﴾ مبتدأ مؤخر.

وفي محل هذه الجملة الاسمية أوجه من الإعراب:

أحدُها: أنها استئنافية لا محل لها من الإعراب.

الثَّاني :أنها في محل نصب حال، والتقدير: أم حسب الكفار أن نصيرهم مثل المؤمنين في حال استواءِ محياهم ومماتِهم؟! لَيْسوا كذلك، بل هم مفترقون.

الثَّالثُ: أنها بدل من الكاف في ﴿ كَٱلَّذِينَ ﴾ عند من جوّز إبدال الجملة من المفرد.

و ﴿ سَآءَ مَا ﴾ فعل ماض للذم.

و ﴿ مَا ﴾ هنا مصدرية مؤولة مع ما بعدها بمصدر هو فاعل ﴿ سَآءَ ﴾.

أو ﴿ مَا ﴾ نكرة تامة بمعنى شيء في محل نصب على التمييز وفاعل ﴿ سَآءَ ﴾ مستتر تقديره هو[٣٧].

(٣٧) ينظر: يُنظر: تفسير البسيط للواحدي (١٤٤/٢٠)، الكشاف (٢٩٠/٤)، أمالي ابن الحاجب (١٧٣)، الدر المصون (٦٤٧/٩)، إعراب القرآن وبيانه (١٥٢/٩)، التفسير المحرر (٩٢/٢٣)

المطلب الثالث: التفسير التحليلي للآية:

﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ ﴾.

﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾: استئناف مسوق لبيان تباين حالي المسيئين والمحسنين إثر بيان تباين حالي الظالمين والمتقين.

و ﴿ أَمْ ﴾: منقطعة، وما فيها من معنى بل للانتقال من البيان الأول إلى الثاني.

والهمزة لإنكار الحسبان لكن لا بطريق إنكار الوقوع ونفيه كما في قوله تعالى: ﴿ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ ﴾ [ص: ٢٨]. بل بطريق إنكار الواقع واستقباحه والتوبيخ عليه.

قال الرازي:" (أم)كلمة وضعت للاستفهام عن شيء حال كونه معطوفا على شيء آخر، سواء كان ذلك المعطوف مذكورا أو مضمرا، والتقدير هاهنا: أفيعلم المشركون هذا، أم يحسبون أنا نتولاهم كما نتولى المتقين؟ "[(٣٨)].

و ﴿ حَسِبَ ﴾: من الحِسبان بمعنى ظنَّ. والحِسبان: أن يحكم لأحد النقيضين من غير أن يخطر الآخر بباله[(٣٩)].

و ﴿ ٱجْتَرَحُواْ ﴾: أي اكتسبوا. وصيغة الافتعال للمبالغة، والاجتراح: الاكتساب، ومنه تسمى السباع والطيور التي تستخدم للصيد جوارح وكواسب؛ لأنها تكسب وتصيد لأصحابها، وفلان جارحة أهله، أي كاسبهم، كما قال تعالى: ﴿ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ﴾ [الأنعام: ٦٠].

(٣٨) التفسير الكبير (٦٧٦/٢٧)

(٣٩) المفردات في غريب القرآن (٢٣٤)

و ﴿ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾: جمع سيئة وهي الفعلة القبيحة، وهي ضدّ الحسنة، والمراد الكفر والمعاصي كعبادة غير الله وتكذيب الرسول ﷺ وإتيان الكبائر.

ومعنى ﴿ أَن نَّجۡعَلَهُمۡ ﴾: أن نصيّرهم في الحكم والاعتبار وهم على ما هم عليه من مساوئ الأحوال.

﴿ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءٗ مَّحۡيَاهُمۡ وَمَمَاتُهُمۡۚ ﴾ : أي مساوين للذين آمنوا بقلوبهم وعملوا الأعمال الصالحة بجوارحهم، فأطاعوا الله، وأخلصوا له العبادة دون ما سواه من الأنداد والآلهة، كلا ما كان الله ليفعل ذلك، لقد ميز بين الفريقين، في الدنيا والآخرة فجعل حزب الإيمان في الجنة، وحزب الكفر في السعير.

فيكون المعنى: إنكار أن يستوي المشركون مع المؤمنين لا في الحياة ولا بعد الممات، فكما خالف الله بين حاليهم في الحياة الدنيا فجعل فريقا كفرة مسيئين وفريقا مؤمنين محسنين، فكذلك سيخالف بين حاليهم في الممات فيموت المشركون على اليأس من رحمة الله إذ لا يوقنون بالبعث ويلاقون بعد الممات هول ما توعدهم الله به، ويموت المؤمنون رجاء رحمة الله والبشرى بما وعدوا به ويلاقون بعد الممات ثواب الله ورضوانه.

قال ابن جزي:" والمراد بالذين اجترحوا السيئات الكفار لمقابلته بالذين آمنوا، ولأن الآية مكية، وقد يتناول لفظها المذنبين من المؤمنين "(٤٠).

وقال ابن عاشور:" واعلم أن هذه الآية وإن كان موردها في تخالف حالي المشركين والمؤمنين فإن نوط الحكم فيها بصلة الذين اجترحوا السيئات يجعل منها إيماء إلى تفاوت حالي المسيئين والمحسنين من أهل الإيمان، وإن لم يحسب أحد من المؤمنين ذلك "(٤١).

وحال هؤلاء الكفار دائر بين الاغترار والإقامة على السيئات.

قال ابن القيم:" أي أحسبوا هذا فهم مغترون أم لم يحسبوه فما لهم مقيمون على السيئات. وعلى هذا سائر ما يرد عليك من هذا الباب، وتأمل كيف يذكر سبحانه القسم الذي يظنونه ويزعمونه فينكره عليهم، وأنه مما لا ينبغي أن يكون، ويترك ذكر القسم الآخر الذي لا يذهبون إليه. فتردد الكلام بين قسمين فيصرح بإنكار أحدهما وهو

(٤٠) التسهيل (٢/٢٧١)
(٤١) التحرير والتنوير (٢٥/٣٥٥)

الذي سيق لإنكاره ويكتفي منه بذكر الآخر، وهذه طريقة بديعة عجيبة في القرآن ... وهي من باب الاكتفاء عن غير الأهم بذكر الأهم لدلالته عليه فأحدهما مذكور صريحا والآخر ضمنا "(٤٢).

﴿ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ﴾: أي بئس هذا الحكم الجائر والظن الباطل الذي حسبه المشركون؛ أن الله يساوي بين الذين عملوا السيئات والذين آمنوا وعملوا الصالحات في محياهم ومماتهم؛ ساء ما ظنوا بنا وبعدلنا أن نساوي بين الأبرار والفجار في الدار الآخرة، وفي هذه الدار. فإنه حكم يخالف حكمة أحكم الحاكمين وخير العادلين ويناقض العقول السليمة والفطر المستقيمة، ويضاد ما نزلت به الكتب وأخبرت به الرسل، بل الحكم الواقع القطعي أن المؤمنين العاملين الصالحات لهم النصر والفلاح والسعادة والثواب في العاجل والآجل كل على قدر إحسانه، وأن المسيئين لهم الغضب والإهانة والعذاب والشقاء في الدنيا والآخرة(٤٣).

المطلب الرابع: التفسير الإجمالي للآية:

يقول تعالى ذكره مفرِّقًا بين حال الذين يكتسبون السيئات، وحال المؤمنين الذين يعملون الصالحات: أمْ ظَنَّ الذين اكتسبوا ما يسوء من الكفر والمعاصي، وخالفوا أمر ربهم، وعبدوا غيره، أن نجعلهم في الآخرة كالذين آمنوا بالله وصدقوا رسله وعملوا الصالحات، فأطاعوا الله، وأخلصوا له العبادة دون ما سواه من الأنداد والآلهة، كلا ما كان الله ليفعل ذلك، لقد ميَّز بين الفريقين فلا يستويان، لا يَستوي الفَريقانِ حياةً ولا مَوتًا، فإن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يحيون في الدنيا حياة طيبة لا مكان فيها للهموم والأحقاد والإحن متنعمين بطاعة ربهم ببركة إيمانهم، ويموتون موتة حسنة، مكرَّمين بلقاء مولاهم، وفي الآخرة ينالون رضا الله تعالى وحسن ثوابه في روح وريحان، وجنات نعيم، وأما الذين اجترحوا السيئات فهم في شقاء في الدنيا وفي الآخرة، فهم في الدنيا في ذُلّ المعصية، وكدِّ الحرص

(٤٢) بدائع الفوائد (٢٠٨/١)

(٤٣) ينظر: جامع البيان (٨٧/٢١)، المفردات في غريب القرآن (٤٤١)، معالم التنزيل (٢٤٤/٧)،تفسير ابن كثير (٢٦٧/٧)، التحرير والتنوير (٣٥٣/٢٥)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٧٢/٨)، تفسير السعدي (٧٧٧)، التفسير المحرر (٩٥/٢٣)

وكدر العيش، وفي الممات في ضيق العذاب الخالد.

والمعنى إنكار أن يستوي المسيئون والمحسنون محياً ومماتاً؛ لافتراق أحوالهم أحياء حيث عاش هؤلاء على القيام بالطاعات، وأولئك على اقتراف السيئات، ومماتاً حيث مات هؤلاء على البشرى بالرحمة والكرامة، وأولئك على اليأس من الرحمة والندامة.

قبح ما يقضون به من الحكم الجائر الذى يسوي بين المحسنين والمسيئين، فإن حال أهل السعادة فيهما غير حال أهل الشقاوة، وشتان بينهما، فالمؤمن يكون في الدنيا على إيمانه، ويموت على إيمانه، ويبعث على إيمانه، والكافر في الدنيا والآخرة، كافر يموت على الكفر، ويبعث على الكفر(٤٤).

(٤٤) ينظر: جامع البيان (٨٧/٢١)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل (٣٠٢/٣)، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد (٣١٠/٥)، التفسير المحرر (٩٤/٢٣)

المبحث الثالث

فوائد الآية، وتنبيهات

المطلب الأول: فوائد الآية:

١. يستنبط من هذه الآية تباين حال المؤمن العاصي من حال الطائع، وإن كانت في الكفار(٤٥).

٢. المؤمنون الذين عملوا الصالحات سعدوا في الحياة الدنيا بإيمانهم، واجتهدوا في مرضاة ربهم ففازوا في الآخرة بالجنات، والذين كفروا شقوا في الدنيا بكفرهم واجترحوا السيئات، فسعوا في إهلاك أنفسهم، فصار مآلهم في الآخرة إلى النار.

٣. أن الخبيث لا يستوي مع الطيب بحال من الأحوال؛ كما قال تعالى: ﴿ قُل لَّا يَسْتَوِي ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ﴾ [المائدة: ١٠٠]. فالكافر خبيث والمؤمن طيب، والكفر خبيث، والإيمان طيب، وهكذا(٤٦).

٤. في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ إشارة إلى أن اقتراف السيئات، لا يكون إلا بجرح فضيلة من الفضائل، وبعدوان على حق من الحقوق فالاجتراح من الجرح، الذي يجيء عن طريق العدوان، والذي يوقع صاحبه تحت حكم القصاص منه (٤٧).

٥. ﴿ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ هم المشركون وإنما عبر عنهم بهذا العنوان؛ لما في الصلة من تعليل إنكار المشابهة والمساواة بينهم وبين الذين آمنوا وعملوا الصالحات عند الله في عالم الخلد، ولأن اكتساب السيئات من شعار أهل الشرك إذ ليس لهم دين وازع يزعهم عن السيئات، ولا هم مؤمنون بالبعث والجزاء،

(٤٥) البحر المحيط (٤٢١/٩)
(٤٦) عون الرحمن (١٥٣/٢٠)
(٤٧) التفسير القرآني للقرآن (٢٤٣،٢٤٢/١٣)

فيكون إيمانهم به مرغِّبا في الجزاء[٤٨].

٦. المذنب وإن عفي عنه بغير سبب من الأسباب المكفرة ونحوها، فإنَّه لابد أن تلحقه عقوبات كثيرة منها ما فاته من ثواب المحسنين، فإن الله تعالى وإن عفا عن المذنب فلا يجعله كالذين آمنوا وعملوا الصالحات[٤٩].

٧. نسبة حسبان التساوي إليهم في خضم الإنكار التوبيخي – مع أنهم بمعزل منه جازمون بفضلهم عليه – إنكار لحسبان الجزم بالفضل وتوبيخ عليه على أبلغ وجه وآكده[٥٠].

٨. الله تعالى قائم بالقسط ولا يظلم الناس شيئا فلا يضع شيئا في غير موضعه ولا يسوي بين مختلفين ولا يفرق بين متماثلين[٥١].

٩. من ظن بالله الحكيم الخبير، أنه يساوي بين الصالح المصلح، والمفسد الفاجر، فقد ظن ظنا قبيحا جديرا بالإنكار والذم[٥٢].

١٠. ما تضمنته هذه الآية الكريمة من أن اختلاف الأعمال يستلزم اختلاف الثواب، لا يتوهم استواءهما إلا الكافر الجاهل الذي يستوجب الإنكار عليه[٥٣].

١١. معلوم بداهة أن اختلاف الأعمال يستلزم اختلاف الثواب، ولكن جاء التنبيه عليه لشدة غفلة الناس عنه، ولظهور أعمال منهم تغاير هذه القضية البديهية . وهذا في أسلوب البيان يراد به لازم الخبر، أي: يلزم من ذلك التنبيه أن يعملوا ما يبعدهم عن النار ويجعلهم من أصحاب الجنة: لينالوا الفوز[٥٤].

---

(٤٨) التحرير والتنوير (٣٥١،٣٥٢/٢٥)
(٤٩) ينظر: مجموع رسائل ابن رجب (٧٩٧/٢)
(٥٠) إرشاد العقل السليم (٧٢/٨)
(٥١) ينظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (١٩٢/٤)
(٥٢) ينظر: أضواء البيان (٣٤٤/٦)
(٥٣) أضواء البيان (٢٤٧/٧)
(٥٤) ينظر: المرجع السابق (٥٨/٨)

١٢. بطلان اعتقاد الكافرين في أن الناس يحيون ويموتون بلا جزاء على الكسب صالحه وفاسده.

١٣. لا بد من التفاوت في الجزاء والدرجات والدركات بين المحسنين والمسيئين، عدلا من الله، لأنه بالعدل قامت السموات والأرض، فالحق الذي تقوم عليه العدالة في شريعة الله عدم التسوية والتفرقة بين المسيئين والمحسنين، وحكمه عليهم يوم القيامة مجازاة كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون فيها بنقص ثواب أو زيادة عقاب(٥٥).

١٤. قدَّر الله للمؤمنين حسن الحال بعد الممات حتى صار ذلك المقدَّر مضرب الأمثال ومناط التشبيه، فقُصد هنا التنويه بالمؤمنين والعناية بزلفاهم عند الله(٥٦).

١٥. إثبات الجزاء على الأعمال.

١٦. التنديد بالذين يقترفون الأعمال السيئة ثم يتوهمون أنهم سيظلون بدون حساب وسؤال، أو يكونون هم والذين يعملون الأعمال الصالحة سواء في في الحياة وبعد الممات وتوبيخ لهم على هذا التوهم الذي يقعون فيه(٥٧)، فالمقصود بهذه الجملة الكريمة، توبيخهم على أحكامهم الباطلة، وأفكارهم الفاسدة(٥٨).

١٧. بطلان ظن من يظن أن الله يسوي بين الذين يعملون الصالحات والذين يقترفون السيئات(٥٩).

١٨. أن هذا الحكم سيء ولا يليق بالله، وهو مخالف للعقل والفطرة(٦٠).

١٩. في قوله: ﴿ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ﴾ بيان لعدم عدالتهم في الحكم، وبعده عن الحكمة(٦١).

---

(٥٥) ينظر: التفسير المنير (٢٧٨/٢٥)
(٥٦) ينظر: التحرير والتنوير (٣٥٣/٢٥)
(٥٧) التفسير الحديث (٥٦٥/٤)
(٥٨) التفسير الوسيط لطنطاوي (١٦٠/١٣)
(٥٩) تفسير جزء فصلت وفوائده وأحكامه للدكتور عبد المحسن العسكر (٣٣٢)
(٦٠) المرجع السابق (٣٣٢)
(٦١) أضواء البيان (١١/٩)

٢٠. ذم الله لهذا الحكم لقوله: ﴿ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ﴾[٦٢].

٢١. من الأحكام الجائرة التي تذم وينسب من يعتقدها ويعمل بها إلى الظلم والجور التسوية بين المختلفين وعدم التفرقة بينهم.

٢٢. في الآية الترغيب بعمل الصالحات والطاعات، والترهيب من المعاصي والسيئات.

٢٣. الرد على منكري البعث بأن قولهم يستلزم التسوية بين الذين يعملون الصالحات والذين يقترفون السيئات[٦٣].

(٦٢) تفسير جزء فصلت وفوائده وأحكامه (٣٣٣)

(٦٣) المرجع السابق (٣٣٣)

المطلب الثاني: تنبيهات:

١. يستحب للتدبر والتخشع ترديد الآية أي تكرارها وإعادتها مع التأمل وزيادة التفهم لها، فإذا أراد القارئ أن يَتَدَبَّر موضعًا من كتاب الله تعالى يجد فيه عِبْرة أو عِظَة لقلبه، فإنه يُكرر تلاوته ويُرَدِّدُه؛ حتى يحصل مقصوده، ولو اقتصر عليه في مجلسه أو ليلته بكاملها.

وقد جاء في حديث أبي ذرّ ﷺ قال:" صلى رسول الله ﷺ ليلة فقرأ بآية حتى أصبح، يركع بها ويسجد بها: ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ ﴾ [المائدة: ١١٨] [٦٤].

وفيه دليل لمن قال بجواز تكرار الآية في الصلاة، إن كان على سبيل الخشوع والتدبر.

وعن عبّاد بن حمزة[٦٥] قال:" دخلت على أسماء رضي الله عنها وهي تقرأ: ﴿ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الطور: ٢٧]. فوقفت عندها فجعلت تعيدها وتدعو. فطال عليّ ذلك، فذهبت إلى السوق، فقضيت حاجتي، ثم رجعت وهي تعيدها وتدعو "[٦٦].

وهكذا كانت عادة السلف ﷺ والآثار في ذلك عنهم كثيرة[٦٧].

قال ابن القيم:" فإذا قرأه بتفكر حتى مر بآية وهو محتاجا إليها في شفاء قلبه كررها ولو مائة مرة ولو ليلة، فقراءة آية بتفكر وتفهم خير من قراءة ختمة بغير تدبر وتفهم، وأنفع للقلب، وأدعى إلى حصول الايمان، وذوق حلاوة القرآن، وهذه كانت عادة السلف يردد احدهم الآية إلى الصباح "[٦٨].

---

(٦٤) أخرجه أحمد في مسنده (٣٥/٣٥٦) ح (٢١٣٢٨). قال محققو المسند: إسناده حسن.

(٦٥) عباد بن حمزة بن عبد الله بن الزبير بن العوام القرشي الأسدي، قال النسائي: ثقة. وذكره ابن حِبَّان في كتاب الثقات. ينظر: تهذيب الكمال (١٤/١١٣)

(٦٦) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٢/٢٥) برقم (٦٠٣٧)

(٦٧) ينظر: التبيان في آداب حملة القرآن (٨٥)، الأذكار (١٠٧)، مفتاح دار السعادة (١/١٨٧)

(٦٨) مفتاح دار السعادة (١/١٨٧)

وقال الغزالي:" وإن لم يحصل التدبر إلا بترديد الآية، فليرددها "[٦٩].

٢. إن كرَّر الآية في الصلاة المفروضة ففيه تفصيل:

قيل: بالكراهة؛ لأنه لم ينقل. فقد ذكر محمود ابن مازه البخاري[٧٠] أنه لا يكره إذا كرر آية مراراً في التطوع منفردا؛ لثبوته عن جماعة من السلف، وإن كان في صلاة الفريضة فهو مكروه؛ لأنه لم ينقل عن واحد من السلف أنه فعل ذلك. وهذا كلّه في حالة الاختيار وأما في حالة العذر والنسيان فلا بأس به[٧١].

وقيل: لا مانع من تكرار الإمام الآية إذا كان لقصد صالح. فقد ذكر الشيخ عبد العزيز ابن باز أنه لا يعلم فيه بأسا لقصد حث الناس على التدبر والخشوع والاستفادة، وأنه إذا كان لقصد صالح لا رياء فيه فلا مانع من ذلك، لكن إذا كان يرى ان ترديده لذلك قد يزعجهم ويحصل به أصوات مزعجة من البكاء فترك ذلك أولى حتى لا يحصل تشويش، أما إذا كان ترديد ذلك لا يترتب عليه إلا خشوع وتدبر وإقبال على الصلاة فهذا كله خير [٧٢].

وقيل: في النافلة يسن التكرار، وفي الفريضة جائز. وهذا التفصيل ذكره الشيخ محمد ابن عثيمين لأن من السنة في النافلة خاصة أن يكرر الإنسان الآية التي يرى أن في تكرارها خشوعاً في قلبه؛ لأن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم صلى صلاة الليل ومرّ بهذه الآية: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ [المائدة:١١٨]. وجعل يرددها إلى الصباح وهو في صلاته عليه

(٦٩) إحياء علوم الدين (٢٨٢/١)، وينظر: التبيان في آداب حملة القرآن (٨٥)، علوم القرآن لنور الدين عتر (٢٧٨)، الخلاصة في تدبر القرآن لدكتور خالد السبت (٥٨،٥٩)،

(٧٠) محمود بن أحمد بن عبد العزيز بن عمر بن مازه البخاري المرغيناني، برهان الدين: من أكابر فقهاء الحنفية. عدّه ابن كَمَال باشا من المجتهدين في المسائل. وهو من بيت علم عظيم في بلاده. توفي ببخارى سنة ٦١٦هـ. ينظر: الفوائد البهية بتراجم الحنفية (٢٠٥)

(٧١) ينظر: المحيط البرهاني في الفقه النعماني فقه الإمام أبي حنيفة ﷺ (٣٠٥/١)

(٧٢) ينظر: مجموع فتاوى الشيخ ابن باز (٣٤٣/١١،٣٤٤)

الصلاة والسلام. وأما في الفريضة فإن القاعدة عند أهل العلم رحمهم الله: أن ما ثبت في النفل ثبت في الفرض. وبناءً على هذه القاعدة حتى في الفريضة إذا مررت بآية يكون في تكرارها خشوع فكرر؛ لكن يمنع من هذا أن الواصفين لصلاة النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم الفريضة لم يكونوا يقولون ذلك عنه، فلهذا تكرار الآية في الفريضة جائز، في النافلة سنة [٧٣]. وهذا تفصيل حسن، والله أعلم.

٣. اختلف العلماء في البكاء في الصلاة على أقوال:

أحدها: إنه إن كانَ لخوف الله تعالى لم يبطل الصلاة، وإن كانَ لحزن الدنيا ونحوه فهوَ كالكلام، وهو قول أبي حنيفة وأحمد. والمنصوص عن أحمد: إن كانَ عن غلبة لا بأس به.

قالَ القاضي أبو يعلى: إن كانَ عن غلبة لم يكره، وإن استدعاه كره.

والقول الثاني: إنه لا يبطل بكل حال، وليس هو كالكلام؛ لأنه لا يسمى به متكلما، وهو قول أبي يوسف.

والثالث: إنه كلام بكل حال، حكي عن الشعبي والنخعي والثوري. وهذا محمول على إذا لم يكن من خشية الله، فقد كانَ الثوري إذا قرأ في صلاته لم تفهم قراءته من شدة بكائه.

والرابع: إن ظهر منه حرفان أفسد وإلا فلا وهو الوجه الأقوى في مذهب الشافعي [٧٤].

وقد ثبت أن النبي ﷺ وهو يصلي لجوفه أزيز كأزيز المرجل. يعني: يبكي [٧٥].

قال ابن القيم:" وأما بكاؤه ﷺ فكان من جنس ضحكه لم يكن بشهيق ورفع صوت، كما لم يكن ضحكه بقهقهة، ولكن كانت تدمع عيناه حتى تهملا، ويسمع لصدره أزيز "[٧٦].

وقال ابن تيمية:" فأما ما يغلب عليه المصلي من عطاس وبكاء وتثاؤب فالصحيح عند الجمهور أنه لا يبطل

(٧٣) ينظر: اللقاء الشهري (١٣/٤٩)

(٧٤) ينظر: فتح الباري لابن رجب (٢٦٣/٦-٢٦٥)، فتح الباري لابن حجر (٢٠٦/٢)

(٧٥) أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة، باب البكاء في الصلاة ح (٩٠٤)، والنسائي واللفظ له في كتاب السهو، باب البكاء في الصلاة ح (١٢١٤) عن عبد الله بن الشِّخِّير ﷺ. وصحَّحه الألباني في صلاة التراويح (١١٩)

(٧٦) زاد المعاد في هدي خير العباد (١٧٦/١)

وهو منصوص أحمد وغيره وقد قال بعض أصحابه إنه يبطل "[٧٧].

ومما كثر في صلاة التراويح خاصة المبالغة في البكاء، والذي ينبغي لمن تأثر بالقرآن أو بالدعاء أن يدافع البكاء، فلم يكن من هدي النبي ﷺ أن يبكي في الصلاة بصوت عالٍ ليبكي من خلفه، كما يفعله بعض الأئمة اليوم- هداهم الله- فيستدعون ببكائهم بكاء غيرهم، ناهيك أنهم يبكون بنحيب وعويل وشهيق، بل كان ﷺ يكتم بكاءه في صدره حتى يصبح له أزيز كأزيز المرجل- أي كغلي القدر - فمدافعة البكاء إتباعٌ للسنة ومدعاة للإخلاص[٧٨].

ويؤكد الشيخ عبد العزيز بن باز أن الذي ينبغي للمؤمن أن يحرص على أن لا يسمع صوته بالبكاء، وليحذر من الرياء فإن الشيطان قد يجره إلى الرياء، فينبغي له أن لا يؤذي أحدا بصوته ولا يشوش عليهم، ومن كان ذلك بغير اختياره بل بغلب عليه من غير قصد فهو معفو عنه ولا حرج عليه في ذلك [٧٩].

(٧٧) مجموع الفتاوى (٦٢٣/٢٢)

(٧٨) ينظر: مقالات موقع الدرر السنية (٢٤٤/٣)

(٧٩) ينظر: مجموع فتاوى الشيخ ابن باز (٣٤٢،٣٤٣/١١)

الخاتمة

الحمد لله وحده الذي أعان على إتمام هذا البحث، وبعد فهذه أهم النتائج:

أولا: تسمية الآية مبكاة العابدين اشتهر في بعض كتب التفسير ولم أقف على أول من سماها بذلك. وما ورد عن بعض السلف في حال قراءتها يؤيد التسمية.

ثانيا: الوارد في سبب نزول الآية لا يصح لعدم ثبوته.

ثالثا: ذكر المفسرون عدة مناسبات للآية وأجودها ما ذكره ابن عاشور لحسن تفصيله.

رابعا: في قوله تعالى: ﴿ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ﴾ قرئت (سواء) بالرفع وبالنصب، ولكل منهما أوجه في الإعراب.

خامسا: المراد بقوله تعالى: ﴿ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ﴾ الكفار لمقابلته بالذين آمنوا. ويُستنبط من الآية تباين حال العاصي من حال المطيع وإن كانت في الكفار.

سادسا: يستفاد من الآية أن من الأحكام الجائرة التي تذم وينسب من يعتقدها ويعمل بها إلى الظلم والجور التسوية بين المختلفين وعدم التفرقة بينهم. والترغيب بعمل الصالحات والطاعات، والترهيب من المعاصي والسيئات.

سابعا: يستحب للتدبر والتخشع ترديد الآية وإعادتها مع التأمل وزيادة التفهم لها، وفي تكرارها في الصلاة أقوال، الأصح منها ما قاله الشيخ ابن عثيمين – رحمه الله – إنه يسن في النافلة ويجوز في الفريضة. والله أعلم.

ثامنا: ينبغي لمن تأثر بالقرآن أن يدافع البكاء، ويحذر من المبالغة فيه كما يفعل بعض الأئمة في صلاة التراويح، فمدافعة البكاء إتباعٌ للسنة ومدعاة للإخلاص.

كما أوصي بتتبع الآيات التي وقع التأثر بها ودراستها من حيث موضوعاتها وأنواع التأثر والمتأثرين بها.

والحمد لله رب العالمين

وصلى الله وسلم على نبينا محمد

مراجع البحث

١. القرآن الكريم.
٢. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم- أبو السعود العمادي محمد بن محمد ابن مصطفى - دار إحياء التراث العربي – بيروت.
٣. الإصابة في تمييز الصحابة- أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني - تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض- دار الكتب العلمية – بيروت- ط/ الأولى - ١٤١٥ هـ.
٤. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن- محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي- دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان- ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.
٥. إعراب القرآن وبيانه- محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش- دار الإرشاد للشئون الجامعية - حمص - سورية ، دار اليمامة - دمشق – بيروت، دار ابن كثير - دمشق – بيروت-ط/ الرابعة ، ١٤١٥ هـ.
٦. أمالي ابن الحاجب- عثمان بن عمر بن أبي بكر، أبو عمرو ابن الحاجب الكردي- دراسة وتحقيق: د. فخر صالح سليمان قدارة- دار عمار - الأردن، دار الجيل – بيروت- ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م.
٧. البحر المحيط في التفسير- أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي - المحقق: صدقي محمد جميل- دار الفكر – بيروت- ط/ ١٤٢٠ هـ.
٨. البحر المديد في تفسير القرآن المجيد- أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري- المحقق: أحمد عبد الله القرشي رسلان- الدكتور حسن عباس زكي – القاهرة- ١٤١٩ هـ.
٩. بدائع الفوائد- محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية- دار الكتاب العربي- بيروت- لبنان.
١٠. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز - مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى - المحقق: محمد علي النجار - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي

—القاهرة — ١٣٩٣هـ.

١١. التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد) – محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور – الدار التونسية للنشر — تونس – ١٩٨٤ م.

١٢. التسهيل لعلوم التنزيل– أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد ابن جزي الكلبي الغرناطي – المحقق: الدكتور عبد الله الخالدي– شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم — بيروت– ط/ الأولى – ١٤١٦ هـ.

١٣. التفسير البسيط– أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي، النيسابوري– المحقق: أصل تحقيقه في (١٥) رسالة دكتوراه بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه– عمادة البحث العلمي – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية–ط/ الأولى، ١٤٣٠ هـ.

١٤. تفسير الثعلبي =الكشف والبيان عن تفسير القرآن– أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق – تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور– مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي – دار إحياء التراث العربي– بيروت — لبنان– ط/ الأولى ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠٢ م.

١٥. تفسير جزء فصلت وفوائده وأحكامه – عبد المحسن بن عبد العزيز العسكر– دار ابن الجوزي– ط/ الأولى، ١٤٤٣هـ.

١٦. التفسير الحديث– محمد عزت دروزة– دار إحياء الكتب العربية — القاهرة– ١٣٨٣ هـ.

١٧. تفسير السمرقندي (بحر العلوم)– أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي– دار الكتب العلمية– بيروت — لبنان .

١٨. تفسير القرآن العظيم– أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي– المحقق: سامي السلامة– دار طيبة للنشر والتوزيع– ط/ الثانية، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩ م.

١٩. التفسير القرآني للقرآن– عبد الكريم يونس الخطيب– دار الفكر العربي — القاهرة.

٢٠. التفسير الكبير– أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن التيمي الرازي – دار إحياء التراث العربي

– بيروت – ط/ الثالثة – ١٤٢٠ هـ.

٢١. تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة) – محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي – المحقق: د. مجدي باسلوم– دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان– ط/ الأولى، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥م.

٢٢. التفسير المحرر للقرآن الكريم– القسم العلمي بمؤسسة الدرر السنية – الدرر السنية – المملكة العربية السعودية– ط/ الأولى، ١٤٤٣هـ– ٢٠٢١ م.

٢٣. تفسير المراغي– أحمد بن مصطفى المراغي– شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده – مصر–ط/ الأولى، ١٣٦٥ هـ – ١٩٤٦ م.

٢٤. تفسير مقاتل بن سليمان– أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي –المحقق: عبد الله محمود شحاته– دار إحياء التراث – بيروت–ط/ الأولى – ١٤٢٣ هـ.

٢٥. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج– د وهبة بن مصطفى الزحيلي –:دار الفكر المعاصر – دمشق – ط/ الثانية، ١٤١٨هـ.

٢٦. التفسير الوسيط للقرآن الكريم– محمد سيد طنطاوي– دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة – ط/ الأولى – ١٩٩٨ م.

٢٧. تهذيب التهذيب– أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني – مطبعة دائرة المعارف النظامية– الهند– ط/ الأولى، ١٣٢٦هـ.

٢٨. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان– عبد الرحمن بن ناصر السعدي– المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق– مؤسسة الرسالة– ط/ الأولى، ١٤٢٠هـ –٢٠٠٠ م.

٢٩. جامع البيان عن تأويل آي القرآن– محمد بن جرير بن يزيد الآملي أبو جعفر الطبري–تحقيق: د. عبد الله التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر د. عبد السند حسن يمامة– دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان–ط/ الأولى، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م.

٣٠. الجامع لأحكام القرآن – أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي – تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش – دار الكتب المصرية – القاهرة – ط/ الثانية– ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م.

٣١. الجواهر الحسان في تفسير القرآن – أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي – المحقق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود – دار إحياء التراث العربي — بيروت – ط/ الأولى، ١٤١٨ هـ.

٣٢. حجة القراءات– عبد الرحمن بن محمد، أبو زرعة ابن زنجلة – المحقق سعيد الأفغاني– دار الرسالة.

٣٣. الحجة للقراء السبعة– الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسيّ أبو علي –المحقق: بدر الدين قهوجي، بشير جويجابي– دار المأمون للتراث – دمشق ، بيروت– ط/ الثانية، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٣م.

٣٤. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء– أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق الأصبهاني – السعادة – بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ – ١٩٧٤م.

٣٥. الخلاصة في تدبر القرآن الكريم– د. خالد بن عثمان السبت – دار الحضارة للنشر والتوزيع – ط/ الأولى، ١٤٣٧ هـ – ٢٠١٦ م.

٣٦. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون– أبو العباس أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي –المحقق: الدكتور أحمد محمد الخراط– دار القلم– دمشق.

٣٧. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني– شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي –

المحقق: علي عبد الباري عطية– دار الكتب العلمية — بيروت– ط/ الأولى، ١٤١٥ هـ.

٣٨. زاد المسير في علم التفسير– جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي – المحقق: عبد الرزاق المهدي– دار الكتاب العربي — بيروت– ط/ الأولى – ١٤٢٢ هـ.

٣٩. الزهد والرقائق لابن المبارك – أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي، التركي ثم المَرْوزي – المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي– دار الكتب العلمية — بيروت.

٤٠. سير أعلام النبلاء: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي – المحقق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط– مؤسسة الرسالة– ط/ الثالثة ، ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥م.

٤١. الطبقات الكبرى– أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، المعروف بابن سعد –

تحقيق: محمد عبد القادر عطا- دار الكتب العلمية – بيروت- ط/ الأولى، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م.

٤٢. العجاب في بيان الأسباب- أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني - المحقق: عبد الحكيم محمد الأنيس- دار ابن الجوزي.

٤٣. عون الرحمن في تفسير القرآن وبيان ما فيه من الهدايات والفوائد والأحكام— د. سليمان بن إبراهيم اللاحم – دار ابن الجوزي – الدمام – ط/ الأولى- ١٤٤١هـ.

٤٤. الكامل في ضعفاء الرجال- أبو أحمد بن عدي الجرجاني - تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، شارك في تحقيقه: عبد الفتاح أبو سنة - الكتب العلمية - بيروت-لبنان- ط/ الأولى- ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

٤٥. الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار- أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان العبسي - المحقق: كمال يوسف الحوت - مكتبة الرشد – الرياض- ط/ الأولى- ١٤٠٩ هـ.

٤٦. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل- أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري - دار الكتاب العربي – بيروت-ط/ الثالثة - ١٤٠٧ هـ.

٤٧. المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين- محمد بن حبان بن أحمد بن حبان التميمي، أبو حاتم الدارمي البُستي -المحقق: محمود إبراهيم زايد- دار الوعي – حلب- ط/ الأولى- ١٣٩٦هـ.

٤٨. مجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي- عبد الرحمن بن أحمد بن رجب السَلامي- المحقق: أبو مصعب طلعت بن فؤاد الحلواني- الفاروق الحديثة للطباعة والنشر-ط/ الثانية، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.

٤٩. مجموع الفتاوى- أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني - المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم- مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف- المدينة النبوية- المملكة العربية السعودية- ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.

٥٠. مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز- عبد العزيز بن عبد الله بن باز- أشرف على جمعه وطبعه: محمد بن سعد الشويعر- دار ابن الجوزي- ط/ ١٤٣٣هـ.

٥١. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز - أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن ابن عطية الأندلسي المحاربي - المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد - دار الكتب العلمية — بيروت — ط/ الأولى - ١٤٢٢ هـ.

٥٢. المحيط البرهاني في الفقه النعماني فقه الإمام أبي حنيفة ﷺ - أبو المعالي برهان الدين محمود بن أحمد ابن مَازَةَ البخاري - المحقق: عبد الكريم سامي الجندي - دار الكتب العلمية- بيروت — لبنان — ط/ الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.

٥٣. مختار الصحاح- زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي -المحقق: يوسف الشيخ محمد - المكتبة العصرية - الدار النموذجية- بيروت — صيدا- ط/ الخامسة- ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٥٤. مدارك التنزيل وحقائق التأويل- أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي- حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي- دار الكلم الطيب- بيروت-ط/ الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.

٥٥. مشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار- محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي - حققه ووثقه وعلق عليه: مرزوق على ابراهيم- دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع — المنصورة- ط/ الأولى ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م.

٥٦. مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور - إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط ابن علي البقاعي - مكتبة المعارف — الرياض — ط/ الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧ م.

٥٧. معالم التنزيل في تفسير القرآن - محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي - المحقق: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر ، عثمان جمعة ضميرية ، سليمان مسلم الحرش- دار طيبة للنشر والتوزيع- ط/ الرابعة، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.

٥٨. معاني القراءات- محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور - مركز البحوث في كلية الآداب

- جامعة الملك سعود - ط/ الأولى ١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م.

٥٩. معاني القرآن وإعرابه- إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج - المحقق: عبد الجليل عبده شلبي- عالم الكتب — بيروت-ط/ الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

٦٠. المعجم الكبير- سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني - المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي- مكتبة ابن تيمية — القاهرة — ط/ الطبعة: الثانية.

٦١. المفردات في غريب القرآن- أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني - المحقق: صفوان عدنان الداودي- دار القلم، الدار الشامية — دمشق- بيروت-ط/ الأولى, ١٤١٢ هـ.

٦٢. مقالات موقع الدرر السنية- مجموعة من المؤلفين- موقع الدرر السنية- dorar.net

٦٣. ميزان الاعتدال في نقد الرجال- شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي - تحقيق: علي محمد البجاوي- دار المعرفة للطباعة والنشر- بيروت — لبنان-ط/ الأولى، ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٣ م.

٦٤. النشر في القراءات العشر- أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف - المحقق : علي محمد الضباع - المطبعة التجارية الكبرى ، تصوير دار الكتاب العلمية.

٦٥. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور- إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط البقاعي - دار الكتاب الإسلامي- القاهرة.

٦٦. النكت والعيون - أبو الحسن علي بن محمد بن محمد البصري البغدادي، الشهير بالماوردي- المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم- دار الكتب العلمية — بيروت- لبنان.

٦٧. الوسيط في تفسير القرآن المجيد- أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي النيسابوري- تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس- دار الكتب العلمية، بيروت — لبنان- ط/ الأولى- ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م.